أصالـــة علم الأصوات (الفونولوجيـــا، والفونيتيك) في التّراث اللّغوي العربي

الباحث: عبد الرؤوف بو كنتوشة (*)

abderraouf.boukentoucha@student.univ-tlemcen.dz

ملخّص:

لا شك فإن كل أمة تريد أن تكون العلوم الشّـائعة في زمن ما علومـا متأصّلة ومتجذّرة فيهـا ولها علاقـة بهويتها، ولعلّ هـذا ما جعل الباحثين العرب المحدثين يجسّـدونه خاصّة في علوم اللّسـان، وبالأخصّ فـي الصّوتيات، مع الإشـارة إلى أن بعض المستشـرقين المنصفين أثبتوا مكانة التّراث اللّسـاني الصّوتي العربي، ممّا جعل الغربيين يعترفون به

ولقد أعطى علماء اللّغة العربيّة القدماء أهمية كبيـرة للصّوت، ومن بينهم العالم الجليل ابن جني في تعريفه للّغة بقوله: « أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم» (ابن جنّـي ، الخصائـص ، (ط ٤) ، الهيئـة العامة المصريّة للكتاب ، مصر ، ج١ ، ص٣٣).

وهذا لا يختلف كثيرا مع تعريف دي سوسـير للغة،على أنها» نتـاج اجتماعي لملكة اللسـان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما، ليسـاعد أفراده على ممارسة هذه الملكة، ومهما يكن فإن الدّراسـات الحديثة أفـرزت العديـد مـن المصطلحـات الصّوتيـة المعاصرة فتبدو كأنها جديدة، لكن كل مصطلح له امتداد في التراث العربي

الكلمـــات المفتاحيّـــة: علـم الأصـوات– الفنولوجيـا و الفونيتيـك– التـراث اللّغـوي العربي– الصّوت.

(*) عضو في مخبر تحليلية إحصائيّة في العلوم الإنسانيّة وإنجاز معجم موحّد لها/ جامعة تلمسان ــ الجزائر

summary:

Undoubtedly, every nation wants the common sciences at a certain time to be sciences rooted in it and related to its identity. The Arab, which made the Westerners recognize it

The ancient scholars of the Arabic language gave great importance to the sound, among them the great scholar Ibn Jinni in his definition of the language by saying: “As for its limits, they are the sounds with which every people expresses their purposes” (Ibn Jinni, al-Khasiyas, (I 4), Egyptian General Book Authority, Egypt , part 1, p. 33).

This does not differ much from de Saussure›s definition of language, as «a social product of the faculty of the tongue and a set of necessary traditions adopted by a society, to help its members practice this faculty, and whatever it is, recent studies have produced many contemporary phonetic terms that seem to be new, but all A term that has an extension in the Arab heritage

Keywords: Phonology - Phonology - Arabic linguistic heritage - sound.

١. جذور علم الأصوات (الفونولوجيا، والفونيتيك) في التّراث العربي اللّغوي:

لا أحـد ينكـر جهود علمـاء اللّغة العربية في مجال علم الأصوت» وإذا نظرنا إلى جهود علماء العربيّة في هذا الشّـأن ، نجد أنّ أصوات اللّغـة، كانـت من الأمـور، التي جذبـت انتباه علماء العرب الأوائل، فعملوا في جهد لايعرف الملل، علـى إتقان النّطق بهـا، وعلى الأخص عندما انتشر الإسلام في بقاع الأرض المختلفة، وطرقـت أسـماع العـرب أصـوات اللّغـات الأخرى، فخشـي العلمـاء أن تنحرف أصوات العربيـة، بتـأثرهـا بأصوات تلـك اللغات وهذا لأن «القرآن الكريم يسـتند إلى الجانب النّطقي أكثر من الجانب الإملائي» (علي خليف حسين: منهـج الدّرس الصّوتي عنـد العرب، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١١م، ص١٢).

ومايميّز العرب عن غيرهم هو ''استحداثهم لهـذا العلم مـن مداركهم الخاصّة بأنفسـهم ولم يقتبسوه من أي شعب غيرهم، لأنّ الباعث الذي دفع العرب لدراسـة الأصـوات وعلوم العربية الأخرى هـو القـرآن الكريم''(المرجع نفسـه ،الصفحة نفسها).

ويعـدّ '' مؤسّـس الدّراسـات الصّوتيّـة عند العرب هوالخليل ابن احمد الفراهيدي وهذا الـرّأي لا جدال فيه فهو الذي وضع أسـس هذا العلم وتابعـه في ذلك علمـاء العربيّة إذ تحدّث الخليل من الجهاز الصّوتي وأعضاء هذا الجهاز ومخارج الأصوات وصفاتها وقد وضع الخليل الطّريقـة التي يمكن من خلالهـا معرفة مخرج الصوت الحقيقـي . فكان موفّقا في ذلك إلى حد أنّ علـم الأصوات يعترف له بصحّة الكثير من أرائه الصّوتيّة التي كانت مثار إعجاب الباحثين والدّارسين لأنّها قيلت قبل أكثر من ألف ومائتي سـنة ، في زمن لم يعـرف أجهزة التّقدّم العلمي الحديـث ''(علي خليف حسـين: منهـج الدّرس الصّوتي عند العرب، ص١١).

فقـد قـام منهج تأليف ''العين'' على نظريّة صوتيّـة وضعها الخليل وهـي الأخذ بالمخرج الصّوتي لترتيـب الحروف فـي المعجم ترتيبا يبـدأ من الحروف التي تخرج من الحلق ثمّ تقدّم شـيئا فشـيئا حتّى انتهى بالحروف التي تخرج من الشفة (علاء جبر محمّد: المدارس الصّوتيّة عند العرب النّشـأة والتّطوّر ، ط١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ص٢٠)

وحينمـا '' درس الخليـل مخـارج الأصـوات وصفاتها كانت أفكاره وتعليلاته طريق من جاء بعده من علمـاء العربيّة فتابعه فـي ذلك تلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ)؛ إذ إنّه استلهم أفكار الخليل

وصاغهـا بشـكل يتّسـم بالشّـمول والدّقة فكان دقيقا في تحليلاته وتقسيماته لصفات الأصوات ومخارجها فضلا عن الظواهـر الصوتيّة التي درسـها دراسـة واعيّة تنـمّ عـن إدراك عميق لأسـباب تلـك الظواهـر وابعادهـا الصّوتيّة « (علـي خليف حسـين : منهج الـدّرس الصّوتي عند العرب ، ص١٠).

ويظهـر ذلـك من خلال كتابه الضخم الذي حوى أراء كثيرة لشيخه الخليل الذي يعدّ مرجعا لكل من جاء بعده، و من الباحثين العرب الأوائل الذين بحثـوا في الصوتيات في العصر الحديث تمام حسـان من خلال كتابـه مناهج البحث في اللغة سـنة ١٩٦٠م، وإبراهيـم أنيس من خلال كتابه :»الأصوات اللغويـة ١٩٦١م ،ومحمود السـعران من خلال كتابـه «علم اللغـة مقدمة للقـارئ العربي» سـنة ١٩٦٢م وكتـاب أحمد مختار عمر الموسوم «دراسة الصوت اللغوي «وصالـح القرمادي من خـلال كتابه «دروس في علم أصوات العربية» لجان كانتينيو والذي اسـتعان بالكتـب التراثية في إحيـاء المصطلح التراثي ، خاصة الصوتي في وضع كتابه هذا. وتشـير أهمّ الدّراسـات والأبحـاث أنّ أوّل من إسـتعمل مصطلح علـم الأصوات فـي التّراث اللّغـوي العربي هو العالـم الجليل ابن جنّي في كتابه سر صناعة الإعراب ،حيث يقول «ولكن هـذا القبيـل من هذا العلم أعنـي علم الأصوات والحروف له تعلق ومشـاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»(ابن جني : سـر صناعـة الإعراب، تح: حسـن هنداوي ، ط٢ ، دار القلم ، دمشق ،١٩٩٣م ،ج١ ، ص٩).

ومن هنا يتضح جليا أنّ ابن جنّي اسـتعمل اسم علم الأصوات والحروف وله قصب السبق في ذلك ، فقبل ابن جني لا يوجد هذا المصطلح ومن هنا ندرك أن الدرس الصوتي كان موجودا في زمن ابن جني وخير دليل على ذلك كتابه سر صناعـة الإعراب وهو كتـاب صوتي بالدرجة الأولى أما في عصرنـا الحديث فأصبح يعرف بعـدة مصطلحـات ،مـن بينها علـم الأصوات اللغوية، عند الأنطاكي في كتابه «دراسـات في فقـه اللغة» (محمد الأنطاكي :دراسـات في فقه اللغـة ،ط٤ ،دارالشـرق العربي،بيروت، ص ١٢٢). ومحمود السـعران في كتابه «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي» (محمود السـعران :علم اللغة مقدمة للقـارئ العربي،د.ط ،دار النهضة العربيـة ،بيـروت ، ص.ص ٦،٧). وخالفهما أحمـد مختـار عمـر، الـذي فضّـل اسـتعمال مصطلـح «فونتكـس» phonetics (أحمـد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ،دط، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص٦٥).

وفي هذا السيّاق يقول كمال بشر في كتابه، علـم الأصـوات "رأينـا أن نعّـرب المصطلح phonetics إلـى فوناتيك لا أن نترجمه ، لأن ترجمته إلى علم الأصوات – في سياق المقابلة بينـه وبين الفنولوجيا – فقد تؤدي إلى اللبس فقد يؤخذ علـى أنه المقصود به دراسـة الأصوات بعامة ، دون تفريق بين جوانب هذه الأصوات أو

منهج البحث فيها ولم نشأ كذلك أن نترجمه إلى علم الأصوات العام كما يفعل بعض الدارسين معتمدين على صفة العموم في ميدانه وطريقة البحث فيه "(كمال بشر : علم الأصوات، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص ٦٦)، وهناك من يريد ترجمة المصطلح الإنجليزي إلى ما يقابله في اللّغة العربيّة وهذا ما يؤكّده الباحث عبدالعزيز الصايغ فيقول: "ينقل مرّة كما هو في اللغة الإنجليزية فيسمى الفنولوجيا، ويترجم مرّة أخرى إلى تسميّات عدة منها: التشكيل الصوتي، علم وظائف الأصوات، علم الأصوات التنظيمي، علم الأصوات، دراسة اللّفظ الوظيفي، علم النّظم الصوتية، وترجمات أخرى مدرجة التّرجمات السابقة مثل : علم الأصوات التشكيلي، الذي هو تحوير لترجمة علم وظائف الأصوات ، وقد ترجمه مجمع اللغة العربية في القاهرة: النطقيات" (عبد العزيز الصايغ :المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د ط ،دار الفكر، ١٩٨٨م،ص.ص ٢١٤،٢١٣)، وهناك من الباحثين العرب من جمع المصطلحين تحت اسم واحد وهو علم الأصوات اللغوية، يقول الدّكتور محمود السعران :" إن هذين النوعين من الدراسة يعتمد أحدهما على الأخر ، وهما متكاملان زمن العبث أن نحاول أن نقرر أيهما أفضل من أخيه، وتبعا لهذا يحسن تجميع الدراستين معا تحت التسمية التقليدية : علم الأصوات اللغوية"(محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٤١)، ويؤكد في موضع أخر على أهمية الترجمة وفقا للتّصوّر العربي فيقول: "نأيت عن اختيار المصطلح اللغوي العربي القديم ترجمة لبعض المصطلح الإنجليزي – كما صنع جماعة – وأثرت، أن أستعمل المصطلح الأوروبي، وذلك لكي لا يختلط بالتصور العربي القديم بالتصور الأوروبي الحديث"(المرجع نفسه، ص.ص ٦،٧).

ومهما يكن فعلم الأصوات أو علم الصوتيات يدرس فرعين أساسيين، الفونيتيك والفونولوجيا، فالفونيتيك هو الذي يعنى بما ينطقه الإنسان فعلا، يدرسه ويصفه في جميع المراحل (الفسيولوجية والفزيائية والإدراكية) وهذا اللّون أطلق عليه علم الفونيتيك أي علم الصّوتيّات أو الأصوات (عبد القادر شاكر: علم الأصوات العربية، د ط ، دار الكتب العربية، بيروت، ص ١٢)، بينما الفنولوجيا فهو دراسة الأصوات اللغوية – التي في حقيقتها صور ذهنية، ومفاهيم مجرّدة عن الواقع المادي – من حيث قيمتها ووظيفتها في اللغة، وقد اطلق على هذه الدّراسة مصطلح (الفونولوجي) أي علم وظائف الأصوات، أو علم الأصوات الوظيفي (المرجع نفسه ،الصفحة نفسها).

١. مصطلح الفونيم بين الدراسات العربية والغربية:

منذ أن دخل مصطلح اللسانيات والفنولوجيا والفونيتيك والفونيم.. الى العلوم اللّغوية العربيّة

وعلماء اللغة يحاولون ترجمة ما أمكن ترجمته، ويعرّبون ما أمكن تعريبه من مصطلحات، وكل هـذا بغرض إثراء القامـوس العربي، فترجموا على سـبيل المثال « مصطلح الفونيم إلى وحدة صوتيـة ولافـظ ، وصـوت مجـرّد، وصوتيّة وصوت مستصوت وصوتون وعرّب مصطلح الفونيـم إلـى صوتيم وصوتم وفونيـم وفونيمية (أحمـد محمد قـدور: مبادئ اللسـانيات، ط٢ ، دار الفكـر، دمشـق ،١٩٩٩م ، ص٩٨)، ولقد عرفـه تمام حسـان بقولـه : « الفونيـم في أحد معانيـه يقصد به معنى الحرف (تمام حسـان : مناهج البحث في اللغة ، د ط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م،المغرب ،ص ١٥٨).

والفونيـم: هـو أصغر وحـدة صوتية عن طريقهـا يمكن التفريق بين المعاني(أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات، ص١٠٤).

ويعـرف (جـون ديبـوا) الفونيـم بأنـه أصغـر وحدة فونولوجية في اللّسـان المدروس ،أي أصغـر وحـدة يمكـن أن تحقـق وظيفتها علـى مسـتوى الـدّال ، بـأن تعمل علـى تقابل وحدتيـن مختلفتيـن وتمايزهمـا (الطيـب دبة :مبادئ اللسـانيات البنيوية ،دار القصبة للنشر، الجزائـر ،٢٠٠١م، ص ١٧١)، ويذهب كمال بشـر إلى أن مصطلح الفونيـم تصعب ترجمته بكلمـة مفردة عربية، لاختـلاف وجهات النظر في تفسـيره (كمال بشـر: علم الأصوات، ص ٤٨٢)، أما رمضـان عبد التواب فجعل الفونيم مسـاويا للحرف في قوله : « وهذه التفرقة بين الصـوت والحرف على هـذا النحو نتوصل بها إلـى جعل الحرف مسـاويا للإصطلاح الغربي فونيـم « (رمضـان عبد التـواب : المدخل إلى علـم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط٣ ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٨٤).

والفونـام: هـو هيئـة صوتيـة تعـرض للصـوت تميزه عن صوت آخر، وذلك بصفات معينـة هي الصفات التمييزية ، فيمكننا أن نميز بيـن الصـوت و الفونام في الكلمتيـن: , vide vite نجد صوت (i) في هاتين الكلمتين عبارة عن صوتين ؛ لأنهمـا تأديتان متنوعتان لفونيم واحد هو(i) ، بحيث إن الصوت (i) في vide هـو ذاته الصـوت في (i) فـي vite ولكن مع شيء من الاستطالة ، أما إذا أردنا أن نقابل بين (d) و(t) فنجدهمـا فونيميـن متمايزين (ينظر : ، الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنوية، ص: ١٧١،١٧٢).

كانـت هذه بعـض تعاريف الفونيـم الذي تبقى صورته متقاربة في الترجمة والمفهوم ومتماثلة في المعنى بحيث لا نجد إختلافا بينها.

النّتائج:

- أنّ للعـرب قدمـاً ثابتـة، وباعـاً طويلـة في الدراسـات الصوتيـة، و لهم فضل السّـبق في الوصـول إلى نتائج وحقائـق علمية صوتية في غايـة الدّقّة، فعلم الأصـوات كان موجودا عند العرب وله جذور ضاربة في القدم ، ويظهرذلك من خلال تراثنا اللّغوي العربي الأصيل؛ حيث إنّهم لم يعالجـوا الأصوات وحدها، وإنما كانت معالجتهم لها مع قضايا لغوية أخرى، وكانت لها قيمة تاريخيـة وعلمية ، ويتجلّى ذلك من خلال كتـب المعاجم والنحـاة والبلاغيّيـن والمعنيين

بإعجـاز القـرآن، وعلماء التجويـد والقراءات القرآنية؛ فالنّحاة طرقوا دراسـة الأصوات في بعض مباحثهم، واللّغويون درسـوها بشيء من السّـعة، وعلمـاء البلاغة والبيان لامسـوها في حديثهم عن الفصاحة، وعلماء التجويد أشبعوها بحثا من الجانبين معا النظري والتطبيقي.

- يتضـح جليّـا ، أن هنـاك مشـكلة ترجمـة المصطلحـات العلميـة اللّغويّـة والصّوتيّـة ، خصوصـا في ضـوء ظاهرة العولمـة اللغوية ، والتي وجـب البحث في هذه المشـكلة بإقامة المزيـد مـن البحـوث والدّراسـات فـي مجال التراث الصّوتي اللّغوي العربي.

- للوصـول للترجمة الصّحيحـة ، وجب على المترجم المتخصص أن يكون واسـع الإطّلاع ،والبحـث والتّفتيـش علـى دلالات الكلمـات، ومعانيهـا فـي المعاجـم العربيـة التراثية منها والحديثة، وأن يكون ملمّا بقواعد الترجمة التي تضبـط المعنى، دون الذّوبان في هويّة ، وثقافة الآخر وإلاّ كانـت الترجمة خيانة في حق اللّفظ واللغـة، والتّـراث ،لاسـيّما أن اللّغة هي وعاء الفكر.

- أنّ إهتمـام العرب بالبحـث الصّوتي كان ولا يـزال يعدّ مـن أولويّات الدّراسـة اللّغويّة قديما وحديثا لاسيّما بعد ظهور القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

١ - ابن جنّي، الخصائص، (ط ٤)، الهيئة العامة المصريّة للكتاب، مصر.

٢- ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي ، ط٢، دار القلم ، دمشق،١٩٩٣م.

٣- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق،١٩٩٩م.

٤- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، د ط، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧ م.

٥- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، د ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م، المغرب.

٦ – رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٧– الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبة للنشر، الجزائر،٢٠٠١م.

٨ – عبد القادر شاكر: علم الأصوات العربية، د ط، دار الكتب العربية، بيروت.

٩ – عبد العزيز الصايغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د ط، دار الفكر، ١٩٨٨م.

١٠ – علاء جبر محمّد: المدارس الصّوتيّة عند العرب النّشأة والتّطوّر، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٦ م.

١١ – علي خليف حسين: منهج الدّرس الصّوتي عند العرب، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١١م.

١٢ - كمال بشر: علم الأصوات، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

١٣ – محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د ط، دار النهضة العربية، بيروت.

١٤ – محمد الأنطاكي: دراسات في فقه اللغة، ط٤، دارالشرق العربي، بيروت.